الناصرية بين سندان صدام ومطرقة التحالف

الأهالي استعدوا للحرب الثالثة بالبحث عن الفوانيس والتمر والبطاريات!

تحقيق حسين كريم العامل

(1-2)

ما من حجرة من حجرات هذا البيت الكبير، الذي ندعوه العراق، إلا واهتزت اركانها من صرخة أم مفجوعة أو زوجة ترملت أو بكاء طفل كسرت قلبه تضاريس الحروب، حتى صار من حق الباحثين أن يعدوا تواصل هذا الشعب واستمراره في التشبث بالحياة معجزة من المعجزات. فما أن تنطفئ حرب على هذه الأرض حتى تورث اختها. وللناصرية هذه المدينة المتناثرة لأشلاء على نهر الفرات حكاياتها المشابهة لكل حكايات الحروب وتوابعها التي ابتليت بها المدن العراقية.

علي كريم ١

عباس عليوي

في المشهد الحربي

لقطة أولى-

حاملات الطائرات تعبر قناة السويس. عشرات الطائرات تضع حمولتها على رمال الخليج. والصحراء تضيق ذرعاً بمعدات الحروب وبباساطيل القوات المتعددة الجنسية.

لقطة ثانية-

(لحاوي) يستحضر سحر التاريخ ليغلب آخر تقنية الدمار، (القائد الضرورة) يتحدث لجنرالاته عن خوارق السيف والفالة والكولور، عن اساطير البطولات الزيفة)

لقطة ثالثة-

الوطن مستسلم لحيرته مثل كل الرات، بحث في الاسواق عن الفوانيس والتمر والبطاريات، ويوصي مراته خيراً (بجليكانات) النفط. هكذا بدأت الحرب إذن!

يوميات الحرب الخاسرة

اليوم الاول.

في الساعة الخامسة واربعين دقيقة من صباح يوم الخميس 2003/3/20 الوافق 16/محرم/1424هـ بدأ الهجوم الامريكي بالصواريخ على مدينة بغداد. بوش في واشنطن يعقد مؤتمراً استغرق أربع دقائق يعلن فيه أن الحرب على العراق قد بدأت وصدام يلقي خطاباً يقول فيه «فداكم الأهل والولد ويختمه بـ (عاشت الإنسانية)!

محال الناصرية مغلقة، والمدينة شبه مهجورة إلا من الليليشيات الحزبية التي أخذت موقعها في الوضع التي شيدتها في تقاطعات الطرق.

الساعة 10.40 صباحاً سمع أول دوي انفجار في الناصرية وزيز طائرات واطلاق صواريخ، وكان الهدف أحد الموقع العسكرية القريبة من قاعدة الإمام علي.

اليوم الثاني

*الجمعة 2003/3/21 عيد نوروز عيد القتايل والموت والدمار.

القوات البرية الامريكية والبريطانية تدخل الاراضي العراقية من الأراضي الكويتية وتحتل ميناء أم قصر وشبه جزيرة الفاو. وفي الناصرية أصوات الطائرات تسمع بشكل مكثف. البعثيون يتوزعون على مفارق الطرقات والأطفال وحدهم يلعبون غير آبهين بأزيز الطائرات.

صدام من جانبه أعلن جوائزه الليونية التي تبدأ بعشرة ملايين وتنتهي بمئة مليون لمن يسقط طائرة عشية الحرب. ويستذكر السيد علي كريم هذه الأيام قائلاً..

- لقد كان الوطنون في قلق من الحرب ولم تكن لديهم تصورات كاملة عن انهيار النظام، فالليليشيات كانت تطوق الشوارع، والاجهزة الامنية وعناصر البعثيين حضروا في كل تقاطعات الطرق وارغموا الناس على الالتحاق في قواطع (جيش القدس). لقد كان البعثيون على المستوى الحزبي معبئين لهذا الغرض، وكانت توجيهات قياداتهم هو أن لا أحد من الوطنين يغادر مكانه في حالة نشوب الحرب، وقد استعدوا لذلك بتوزيع ما في المخازن من مواد غذائية على الوطنين، وتزويدهم بالحصص التموينية قبل موعدها. واشاعوا بأن المدن التي تسقط عسكرياً بأيدي قوات التحالف ستضرب بصواريخ أرض-أرض أو بالمواد الكيمياوية، وما جعل هذه الشائعة صادقة في اعتقاد الناس تنسيب علي حسن المجيد (علي كيمياوي) لقيادة عمليات المنطقة الجنوبية. وقد بدأ الناس بطحن الفحم وللح لعمل الكمامات الواقية من الكيمياوي وتخزين مياه الشرب. وكانوا يتبادلون المعلومات عن آخر الطرق للوقاية من الاسلحة الكيمياوية، فقد كانت تجربة عام 1991 ماثلة أمام انظار الوطنين، فقاموا بتخزين الوقود من نفط وغاز وبنزين وكاز وشراء العلبات والبقوليات والتمر والحليب فضلاً عن الفوانيس والدلات والطباخات النفطية والبطاريات لجافة التي غدت أهميتها تضاهي أهمية الغذاء، فالعراقيون في تلك الأيام لا يستطيعون الاستغناء عن الاخبار لمتابعة آخر التطورات، وقد كانت خشيتهم ليس من قيام الحرب وإنما خوفهم من قبول امريكا بما يقدمه صدام من إغراءات وتنازلات تجعلهم يؤجلون مهمة الاطاحة به أو يلغونها نهائياً. وقد تناقل الناس الكثير من الطرائف الشعبية في هذا المجال «واقوالها» تلك التي تقول (خل يضربونه كيمياوي.. خل يضربونه نووي.. بس لا يضربونه بوري ويبقون صدام بالحكم)! وفي عشية الحرب قام اصحاب المحال بنقل ما موجود من البضائع في محالهم إلى المنازل خوفاً من (الفرهود). وكذلك عملت دوائر الدولة التي نقلت القسم الاكبر من اجهزتها وسجلاتها لمنازل الموظفين، وقد أشيع في تلك الفترة عن صدور تعليمات من اعلى المستويات في الدولة تطلب فيها وتؤكد على اقتناء الفوانيس والدراجات الهوائية لنقل البريد. كما قامت تلك الدوائر فعلاً بتعزيز خزينها من الوقود وإيجاد مقرات بديلة. كما اتخذت الدوائر الامنية والقرات الحزبية من المدارس بديلاً عن مقراتها، فمثلاً استخدام (الفدائيون) جزءاً من ابنية المستشفى الجمهوري لتخزين الاسلحة وكذلك استخدم الاعدادية الطورة، بينما اصبحت دائرة الاحصاء ومجلس الشعب ومدرسة (17 تموز) والمدرسة المركزية كمقرات لميليشيات البعثيين. وكذلك نشروا الآليات العسكرية في الساحات القريبة من الأحياء السكنية مثل الساحة الواقعة ما بين حي الشهداء وحي أريدو، وكذلك ساحة بهو البلدية وكراج مصلحة نقل الركاب الذي ما زالت الدبابات المحترقة في ساحته. أما الحافظ يونس محمد الذرب وعضو (القيادة القطرية) عادل عبد الله والقيادات العسكرية الأخرى فقد اتخذوا من الطابق الأرضي في مستشفى (صدام) غرفة للعمليات. وكان علي حسن المجيد يجتمع بهم في ذلك المكان للتباحث في الامور العسكرية.

الهجوم على الناصرية

في يوم السبت 2003/3/22 سيطرت القوات الامريكية على قاعدة الإمام علي في الناصرية وعلى مقر الفرقة 11 ووقوع مواجهة قرب سوق الشيوخ والسيطرة على طريق السماوة - الناصرية، وتدمير مقر قيادة فرع ذي قار لحزب البعث بصاروخ موجه قتل على اثره امين سر فرع ذي قار هلال كاطع العلي ومحمد شناوة عضو فرع وعلي مانع. وقد بلغ عدد الضحايا اكثر من 25 شخصاً ما بين قتيل وجريح. وقد بقيت بعض الجثث تحت الانقاض بعد أن أخرجوا منها جثث المسؤولين المهمين فقط!.

الأحد 2003/3/23

في الساعة السابعة واربعين دقيقة حدث انقطاع التيار الكهربائي، وتناقل الناس في لصباح خبر سقوط المدينة. لكن الجيش الامريكي لم يدخل مركز المدينة وإنما استقطها عسكرياً. وجرى انزال امريكي فاشل قرب مفرق سوق الشيوخ، وأسر فيه بعض الجنود الامريكان ومنهم الجندة (جيسكا) وأسفر عن مقتل اخرين.

وطافت شوارع المدينة سيارة من نوع (بيك أب) تحمل جثتين لجنديين أمريكيين أحدهما أسود لرفع معنويات البعثيين التي بدأت تنهار وفي الساعة الواحدة ظهراً جرى انزال على الجانب الجنوبي من نهر الفرات، وانزال آخر على الخط السريع.

*ست طائرات هليكوبتر امريكية مشحطت المدينة واصابت أحد الساكن في شارع عشرين بأضرار، ودمرت سيارة ريم، وثقبت أحد السقوف وقتلت امرأة.

*الحافظ وعناصر الحزب والفدائيين يمارسون سلطاتهم من خلال المقرات البديلة.

*اليوم اغلقت المصارف ابوابها بوجه الوطنين ولم يتم لتعامل الامع الدوائر الرسمية.

*سيارات الاسعاف تطوف المدينة لنقل الجرحى وسماع اصوات القاومات الأرضية التي لم تؤثر على الطائرات الغيرة.

*بدأ الهجوم ظهر هذا اليوم على مركز المدينة وتم عبور نهر الفرات باتجاه حي الفداء والخط السريع وحي الشهداء، وحدثت مقاومة عنيفة وقصف شديد حتى أن إذاعة لندن نعتت هذا اليوم بأليوم الأسود للقوات الامريكية.

الإثنين 2003/3/24

*بدأ الهدوء النسبي بالحذر صباح هذا اليوم، وبدأت المواجهة في الساعة العاشرة صباحاً وكانت عنيفة ودموية، استخدمت فيها الدفعية والدبابات والدروع وطائرات الاباتشي بينما استخدمت الميليشيات المحلية قذائف RBG 7 و SPG 9، وهدأت حدة المعارك بعد العصر ولم تشاهد سوى طائرات الهليكوبتر.

*بناية المحافظة خالية والميليشيات اخذوا بالتلاشي.

*صدام يشيد بمقاومة القوات العراقية الموجودة في الناصرية وخص بالذكر الفرقة (11).

*طرد الدبلوماسيين العراقيين من الاردن.

ورصد الامريكان 63 مليار دولار للحرب بوش يطالب الكونكرس بتعزيز الرقم 88 مليارا

الثلاثاء 2004/3/25

*حديقة غازي تستقبل أول القتلى وتأخذ شكل المقبرة، بعد أن استقبلت جثمان الوطن كريم عباس الذي تعذر نقله إلى مدينة النجف بسبب المواجهات.

*عبور 4000 جندي من قوات التحالف لجسر الناصرية متجهين صوب بغداد، والطائرات تحلق على الدوام، وسماع دوي واطلاق نار قرب مستشفى (صدام).

مواجهة على الخط السريع

يحدثنا السيد عباس عليوي عن هذه الأيام قائلاً:

- بدأت الحرب البرية في مركز الناصرية بأسر جيسكا وقتل رفاقها في تقاطع سوق الشيوخ، والاستيلاء على عربتهم التي انقلبت في ذلك المكان. وقام عناصر من البعثيين والفدائيين بالتمثيل بجثثهم وطافوا بها في المدينة مستخدمين سيارة من نوع (بيك أب) ودراجة نارية ذات عربة. وقد ارتفعت معنويات البعثيين وفدائيي صدام بعد ذلك. وبعد الظهر قامت الطائرات باستطلاع طريق المرور السريع. والاحياء الواقعة على جانبيه هي حي النداء وحي قوى الأمن الداخلي والبقاع من جهة وحي الصالحية والشهداء والحي العسكري من الجهة المقابلة وبعدها بدأ ترتل من المدرعات الامريكية يعبور جسر الخط السريع قادماً من تقاطع سوق الشيوخ، وقد ابدى عدد قليل من (الفدائيين) مقاومة عنيفة مستخدمين البنادق وقاذفات RBG 7 و SPG 9 وأخذوا يعيقون تقدم الدروع، وارغموها على اللجوء إلى حي التضحية وحي الفداء وحي قوى الأمن الداخلي لتجنب النيران التي كان مصدرها الجانب المقابل وقد اصيبت احدى الدرعات وقتل أحد الجنود وبقيت هذه القوة إلى صباح اليوم التالي لتنشطر بعدها إلى شطرين، الدروع المرسلة عبرت نهر فهوندي، والدرع الدولب لتنشر على طول الطريق من جسر السريع الواقع على نهر الفرات إلى الجسر الثاني على نهر فهوندي.

تصوير غالب الربيعي

جامعة ذي قار بعد دخول الامريكان

في (الرأي)..

الوضع (الراهن).. والمسؤولية الأخلاقية للاعلام

أحمد السعداوي

بعد مرور ما يقرب من السنة على سقوط النظام الاستبدادي والدخول في فضاء جديد منحنا - في حده الايجابي - مكتسبات غير مسبوقة، لا يبدو البعض منا واعياً حقاً أهمية هذه المكتسبات ومنها حرية التعبير. أو إنه لا يقدر خطورة المسؤولية في قول الكلمة استناداً إلى الحرية وليس لقائمة مفروضة من الاعلى للممنوعات والمسموحات. فقول هذا الكلام وانا اتصفح مطبوعاً عراقياً يطرح الآن في الأسواق ويباع بكميات كبيرة.. ولا يبدو لي ان القائمين على إصدار هذا المطبوع يدركون حقاً المسؤولية الأخلاقية للعمل الصحفي. وان غياب قانون ينظم العمل الاعلامي والصحافي لا يعني إنني أتجاوز كل الحدود. مثلما أن الحرية لا تعني نسف هذه الحدود دفعة واحدة.

نحن الآن قادرون على وصف المرحلة التي يمر بها العراق بأنها (أخطر) مرحلة في تاريخه و(أهم) مرحلة.. لكننا لا نفهم هذه الأوصاف. ولا ندرك مسؤولياتنا على وجه الدقة في هذه المرحلة (فخطرة والمهمة). فمن غير العقول أن يكون البديل عن التكميم و(غرس الاجبار).. بمعقرطية الشتائم! مثلما من غير المعقول أن يكون التعبير عن الرأي هو مرادف لفظي للشطب على الآخرين! وقبل أن نستسهل الكتابة والقاء الآخرين - بواسطة الكتابة - إلى الجحيم وبئس المصير.. علينا أن نعرف أولاً.. ان هذا الأسلوب.. هو براءة اختراع صدامية.. وقد أعلنا (بكل طيبة وسذاجة) اننا تخلصنا منه نهائياً يوم سقط التمثال في ساحة الفردوس.

لقد اختل توازننا لفترة من الزمن تحت تأثير هواء (الحرية) النقي.. وشطح بعضنا وعربد كنوع من انواع استعادة اللياقة النفسية والروحية.. لكن بعد مرور هذه الشهور الطوال.. سيبدو غريباً.. إننا ما زلنا نتعامل مع الحرية بالطريقة (الفرهودية) نفسها!

أقلب هذا المطبوع وافكر بالقارئ المسكين الذي تتوجه اليه إساءات (الحرية) هذه ويتقبلها راضياً، لأنه يفهم مثلاً أن الحرية في أمريكا تعني.. حرية شتم الرئيس في الشارع، وصنع دمية له واحرقها أمام مقر رئاسته، وضربه بالبيض الفاسد كلما خرج إلى الشارع، وليس شيئاً آخر!! أو أن الحرية.. هي حرية تركي لفعل ما أريد وقول ما أريد دون وازع أو رادع. ومن المؤسف والمؤلم أن يكون فرع هو السبيل الوحيد لجعلي افهم الحرية بشكلها الصحيح. لأن هذا يعني إنني غير مؤهل للحرية أصلاً.

من (خطورة) وضعنا الحالي.. إننا ما زلنا في عنق الزجاجة نحو دولة مستقرة ونظام مستقر وواضح الأبعاد. ودستور دائم وقوانين تنظم العمل الحزبي والعمل الاعلامي، ومن خطورة المرحلة أيضاً أننا نبدأ من الصفر بمساهمات مختلفة ومتنوعة ومن كل الأطراف والتكوينات في تكوين هوية وطنية عراقية جامعة..

لذا سيبدو من الأذى الجسيم لخروج عن (وعلى) هذا التيار.. أو ما نريد أن يكون تياراً حقاً.. ودعونا، بحق كل العذابات العراقية، نتأنى طويلاً قبل خط الكلمات وتسويد الصفحات بما يعن لنا من رأي أو تصور.. هل ما نقوله ونكتبه يصب ستراتيجياً في مصلحة العراق.؟ هل ما نقوله هو ضمن دائرة الاختلاف السلمي إن جاز التعبير.. أم من باب تأديب الناس على الاختلاف؟

إن الكثير من الصحف العراقية التي ظهرت عقب سقوط النظام. إن كانت حزبية أو مستقلة.. اختلت لنفسها، بوازع الضمير والمسؤولية الأخلاقية، خطاً وطنياً واضحاً. يلتزم بالمشترك العام من أدبيات العمل الإعلامي وبدهياته. ورسخت نفسها لدى القارئ العراقي على هذا الاساس. وزعم انها وفرت خلال الأشهر الماضية واقعاً عملياً وذائقة قرائية جديدة له يألفها القارئ العراقي سابقاً. تتجاوز فيه الآراء والتيارات والايديولوجيات، ولا يلغي بعضها بعضاً في أثناء الجدل والنقاش الفكري.

هذه المعطيات لا تبدو حاضرة في ذلك المطبوع الذي ابتدأت بالحديث عنه، وبدلاً عنها نجد الشتائم، وتقسيم الشخصيات والتيارات السياسية إلى (شريف) و (غير شريف)، مع دعوة صريحة تغذي تكتل مكونات الشعب العراقي ضد بعضها. إلى الحدود التي تدفع للتأمل للمبالغة بالقول.. إن المسؤول عن هذا المطبوع جعل الوثيقة المنسوبة لأبي مصعب الزرقاوي برنامج عمل له!

لا أحد في العراق الآن لديه سلطة لايقاف هذا المطبوع عن الصدور، ولا نريد ذلك مطلقاً لأن ذلك سيخدش حرية الرأي والتعبير.. التي ما زالت وليدة تحبو، لكننا ننبه القارئ فهو وحده من يملك القرار الأكثر شرعية. لأن الصحافة التي بلا قراء تموت وتضمحل.